الاندفاع
نحو الشهادة

اعداد
المركز الثقافي للدراسات الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: **الاندفاع نحو الشهادة**

الطبعة: **الأولى**

سنة الطبع: **١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م**

أعداد: **المركز الثقافي للدراسات الاسلامية**

التصميم والإخراج الفني: **حيدر القريشي**

عدد النسخ: **٢٠٠٠ نسخة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الاندفاع نحو الشهادة ظاهره نلمسها بوضوح في جمرة غفيرة من مسلمي صدر الإسلام.

وحين يتطلع الإنسان إلى هذه الظاهرة يحس أن في أعماق هذه الفئة المؤمنة شوقاً ولهفة إلى الشهادة..

هذا علي (عليه السلام) يقول:

(أنه لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿**أفحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون**﴾ علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أظهرنا.

فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟

فقال: يا علي، إن أمتي سيفتنون من بعدي.

فقلت: يا رسول الله، أو ليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين. وحيزت عني الشهادة، فشقّ ذلك عليّ. فقلت لي: أبشر فإن الشهادة من ورائك؟

فقال لي: إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟

فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر. ولكن من مواطن البشرى والشكر)!!

□

ويقول علي أيضاً:

(إن أكرم الموت القتل! والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله).

هذا الاندفاع لم يكن مقصوراً على علي وأمثال علي، بل إن عامة الناس كانوا يأتون إلى الرسول يطلبون منه أن يدعو الله لهم بالشهادة[1]..

هذا (خثيمة) واحد من سائر الناس يتنازع مع ابنه ليسبقه في الاستشهاد.

الأب يصر على الابن أن يبقى في البيت ليذهب هو للجهاد.

والابن يصر على الأب كذلك بالبقاء في البيت ليذهب هو.. فيقترعان.. فتقع القرعة على الابن، فيذهب، ويستشهد.

ثم يرى الأب ولده في عالم الرؤيا يقول له:

يا أبت، إنه قد وعدني ربي حقاً!!

تصاعد شوق الاستشهاد في نفس الرجل العجوز فهرع إلى النبي يقول له:

---

(١) تكررت هذه الظاهرة في إيران إبان الثورة الإسلامية، فاندفعت الملايين تطلب الموت، فوهب الله لها الحياة. والإمام القائد ذكر مراراً أن الأفراد يأتون إليه باستمرار يطلبون منه أن يدعو الله لهم أن يرزقهم الشهادة!!.

لقد وهن عظمي وخارت قواي، لكني اشتاق إلى الشهادة، فأسأل الله أن يرزقني إياها..

فدعا له رسول الله، ولم يمر عام حتى نال الرجل ما تمناه.. فقد سقط في معركة أُحد مضمّخاً بدم الشهادة!

و(عمرو بن الجموح).. كان قد أصيب في إحدى رجليه وسقط عنه حكم الجهاد إذ (ليس على الأعرج حرج)..

وحانت معركة أُحد فتجهز أولاد هذا الرجل للمعركة، وهمَّ هو أيضاً أن يشارك مع أبنائه..

نصحه أولاده فلم يستجيب لهم، اجتمع أهله وأقاربه ينصحونه بالبقاء فأبى أن يصغي لهم.. وذهب إلى الرسول شاكياً يقول: أبنائي يمنعوني أن أفوز بالشهادة.

فأجازه رسول الله أن يشارك في المعركة، وطلب من أبنائه أن يدعوه يحقق أمنيته في الاستشهاد. فخاض المعركة واستشهد.

وعندما بلغ خبر فشل المسلمين في أُحد إلى المدينة سارع من كان في المدينة إلى جبل أُحد، وبينهم امرأة عمرو بن الجموح..

عثرت هذه المرأة على جسد زوجها وابنها وأخيها، فوضعت الأجساد على ظهر بعير، وقفلت راجعة إلى المدينة لتدفن قتلاها في البقيع.. لكنها ألفت البعير يأبى الاتجاه نحو المدينة، ولا يتحرك إليها إلاّ

بمشقة. فالتقت بنسوة قادمات من المدينة نحو أُحد بينهن عائشة زوج الرسول.

سألتها عائشة: من أي مكان تأتين؟

أجابت: من أُحد.

قالت عائشة: فما هذا الذي على ظهر البعير؟

أجابت ببرود تام: أجسام زوجي وابني وأخي، اذهب بهم إلى المدينة لأدفنهم هناك.

ثم سألتها عمّا وراءها.

أجابت المرأة: خيراً.. النبي سالم والحمد لله، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم.

ثم قالت المرأة لعائشة: إن هذا البعير يأبى العودة إلى المدينة وكأنه يروم الذهاب إلى أُحد.

قالت عائشة: لننطلق معاً إلى النبي في أُحد، ثم قصّت المرأة على النبي ما كان من شأن البعير. فسألها رسول الله عما قاله زوجها حين غادر المنزل، قالت: رفع يده إلى السماء وسأل الله تعالى أن لا يعيده إلى بيته.

فأخبرها النبي باستجابة دعوة زوجها، وأمر بدفنه مع سائر الشهداء في أُحد.

روح الاندفاع نحو الشهادة تجسدت في كل أئمة آل البيت وأتباعهم، وهذه الروح تطفح في أدعيتهم التي خلفوها لنا ومنها:

(اللهم برحمتك في الصالحين فأدخلنا، وفي علّيين فارفعنا.. وقتلاً في سبيلك مع وليّك فوفّق لنا).

والحسين بن علي (عليه السلام) يردد وهو يسير نحو كربلاء هذه الأبيات:

لَئِن كانَتِ الدُنيا تُعَدُّ نَفيسَةً
فَدارُ ثَوابِ اللَهِ أعلى وَأَنبَلُ
وَإِن كانَتِ الأَبدانُ لِلمَوتِ أُنشِئَت
فَقَتلُ اِمرِئٍ بِالسَيفِ في اللَهِ أفضَلُ
وَإِن كانَتِ الأَرزاقُ شَيئاً مُقَدَّراً
فَقِلَّةُ سَعيِ المَرءِ في الرِزقِ أَجمَلُ
وَإِن كانَتِ الأَموالُ لِلتَركِ جَمعُها
فَما بالُ مَتروكٍ بِهِ المَرءُ يَبخَلُ

□

منطق الشهيد

لكل إنسان منطق خاص، وطريقة تفكير خاصة. ولكل معايير ومقاييس يحدد بموجبها موقفه من المسائل والظواهر المختلفة.

وللشهيد منطق خاص.. إنه (منطق الشهيد) الذي لا يمكن قياسه بمنطق الأفراد العاديين. فمنطق الشهيد أسمى.. إنه مزيج من منطق المصلح ومنطق العاشق.. منطق المصلح الذي يتضور قلبه ألماً لمجتمعه، ومنطق العارف العاشق للقاء ربه.

بعبارة أخرى، لو امتزجت مشاعر عارف عاشق للذات الإلهية بمنطق إنسان مصلح لنتج عن ذلك (منطق الشهيد).

لا أحسب أني استطعت أن أعطي (منطق الشهيد) حقه من التصوير والتوضيح، فلأضرب لذلك مثلاً:

حين توجه الحسين بن علي (عليه السلام) نحو الكوفة، أجمع عقلاء القوم على منعه من السفر قائلين: إن عزمه على السفر إلى العراق غير منطقي.

وكانوا صادقين فيما يقولون.. لم يكن عزم الإمام ينسجم مع منطقهم.. مع منطق الإنسان الاعتيادي.. مع منطق الإنسان الذي يدور فكره حول محور مصالحه ومنافعه. لكن الحسين كان له منطق أسمى،

كان منطقه منطق الشهيد، ومنطق الشهيد أسمى وأرفع من منطق الأفراد العاديين.

لم يكن (عبدالله بن عباس) و(محمد بن الحنفية) من عامة الناس، بل كانا سياسيين عالمين، ومنطقهما منطق السياسة والمصلحة، منطق الحنكة والذكاء الذي يدور حول المصلحة الفردية والانتصار الشخصي على المنافسين.

وذهاب الحسين إلى العراق عملية خاطئة استناداً إلى هذا المنطق.

وهنا تجدر الإشارة إلى اقتراح ذكي قدمه ابن عباس إلى الحسين..

لقد اقترح عليه أن يسلك طريقاً سياسياً من نوع الطرق التي يسلكها (الأذكياء) ممن يتخذون الناس وسيلة لتحقيق أهدافهم وممن يقفون في المؤخرة دافعين الجماهير نحو مقدمة الجبهة، فإن أحرز النصر نالوا ما جنته يد الجماهير، وإن فشلت الجماهير وقفوا على التلّ سالمين.

قال ابن عباس للحسين:

(يا ابن عم، إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربهم، أقم في هذا البلد، فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك ـ

كما زعموا ــ فاكتب إليهم، فلينفوا عاملهم وعدوهم، ثم أقدم عليهم)[١].

فابن عباس يريد أن يضع جماهير العراق في مقدمة الجبهة والحسين في المؤخرة.

يريد أن يقول للحسين: دع أهل العراق يواجهون العدو بأنفسهم فإن انتصروا فقد استتب الأمر لك، وإن لم يفعلوا كنت في حل منهم، ولن يصيبك مكروه.

لم يعر الحسين أي اهتمام لهذا الاقتراح وأعلن عن عزمه على الذهاب.

فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك.

أجابه الحسين: (يا ابن عم، إني لأعلم أنك ناصح مشفق، وقد أزمعت وأجمعت المسير)!!

نعم..

منطق الشهيد منطق آخر. منطق الشهيد منطق الاشتعال والإضاءة، منطق الانصهار والانحلال في جسم المجتمع من أجل بعث الحياة في هذا الجسم وبعث الروح في القيم الإنسانية الميتة.. منطق تسجيل الملاحم.. منطق النظرة البعيدة.. البعيدة جداً.

---

(١) تاريخ ابن الأثير، ج٤، ص١٦.

ومن هنا كانت كلمة (الشهيد) مقدسة عظيمة.

ومن هنا، فإننا لا نعطي الشهيد حقه إن وصفناه أنه (مصلح) لأنه فوق المصلحين. أو أنه (بطل) لأنه أعظم من الأبطال.

لا يمكن وصف الشهيد إلاّ أنه (شهيد) وليس بمقدورنا أن نستعمل كلمة أخرى.

دم الشهيد

الشهيد يقف بوجه العدو، فأما أن يصرعه وأما أن يُصرع لكن عمل الشهيد لا ينحصر في هذا الموقف! فلو كان عمله منحصراً بهذا لذهب دمه هدراً حينما يخر صريعاً في ساحة المعركة. وهذا ما لا يحدث، فدم الشهيد لا يذهب هدراً.. دم الشهيد لا يراق على الأرض.

كل قطرة من دم الشهيد تتحول إلى آلاف القطرات.. بل إلى بحر من الدماء يدخل جسد المجتمع. ومن هنا قال الرسول (صلى الله عليه وآله): (ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم في سبيل الله).

الشهادة تزريق لجسد الأمة بدم جديد. والشهداء يضخّون في شرايين المجتمع، وخاصة المجتمع الذي يعاني من فقر الدم، دماً جديداً.

□

ملحمة الشهيد

الشهيد يسجل بدمه ملحمة يحيي بها روح الحماسة في مجتمع ماتت فيه روح الحماسة وخاصة الحماسة الإلهية.

ولهذا فالإسلام بحاجة دوماً إلى شهيد..

لأنه بحاجة مستمرة إلى حماسة متجددة.. وإلى ولادة متجددة.

خلود الشهيد

العالِم يخدم المجتمع بعلمه، وعن طريق قناة العلم يخرج هذا العالم من فرديته ليرتبط بالمجتمع.

أي، عن طريق العلم تتحد شخصيته الفردية بشخصية المجتمع كما تتحد القطرة بالبحر.

بهذا الاتحاد، يخلد العالم جزءاً من شخصيته، أي يخلد فكره وعمله.

والمخترع يتّحد بالمجتمع عن طريق اختراعه، ويخلد وجوده عن طريق ما يقدّمه للمجتمع من مخترعات.. وهكذا الفنان والشاعر ومعلم الأخلاق..

والشهيد يخلّد نفسه في المجتمع عن طريق دمه. أي عن طريق الدم الجديد الخالد الذي يهبه شرايين المجتمع، وبعبارة أخرى يكتسب الشهيد

صفة الخلود عن طريق تقديم كل وجوده وحياته.. لا عن طريق تقديم جزء من وجوده وشخصيته، كما يفعل غيره من الخالدين.

ولهذا فالنبي الكريم يقول:

(فوق كل ذي برّ برّ حتى يقتل في سبيل الله، وإذا قتل في سبيل الله، فليس فوقه برّ).

شفاعة الشهيد

ورد في الأثر أن الله يقبل الشفاعة يوم القيامة من ثلاث طبقات:

طبقة الأنبياء وطبقة العلماء ثم الشهداء.

وهنا ينبغي أن نوضح أن الشفاعة هذه هي (شفاعة الهداية).. إنها تجسيد لما حدث في الدنيا من حقائق..

فعن طريق الأنبياء اهتدى الناس ونجوا من الظلمات.

والعلماء ـ في هذا الحديث ـ هم العلماء الربانيون بما فيهم الأئمة الأطهار والرهط الصالح من أتباعهم ومن حذا حذوهم، وهؤلاء أيضاً ساروا على طريق الأنبياء وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.

والشهداء ينهضون بنفس الدور، يضيئون الدرب أمام الناس، فيهتدي من يريد الهداية، وبذلك يكون الشهداء شفعاء لمن اهتدى بهم.

□

البكاء على الشهيد

(حمزة بن عبدالمطلب) عم النبي الكريم، استشهد في أُحد، ولمع اسمه بين شهداء صدر الإسلام، وحاز لقب (سيد الشهداء)، وقبره الآن بين شهداء أُحد مزار لكل الذين يقصدون زيارة المدينة المنورة.

كان حمزة قد هاجر من مكة إلى المدينة حيث مكث وحيداً ليس معه فيها من ذويه أحد، حتى استشهد.

حين رجع النبي ﷺ بعد معركة أُحد إلى المدينة، وجد أصوات البكاء تتصاعد من بيوت الشهداء إلاّ بيت حمزة.. فقال عبارته المعروفة:

(أما حمزة فلا بواكي له).

سرعان ما انتشرت هذه الكلمة في أرجاء المدينة، فأسرعت النساء الثكلى والأيامى إلى بيت حمزة ليبكينه احتراماً لمقولة النبي ولحمزة عمه. فأصبحت العادة منذ ذلك الوقت أن يذهب كل من يريد أن يبكي على شهيد، إلى بيت حمزة ليبكيه أولاً.

وهذه الحادثة دلّت على أن الإسلام ـ وإن لم يشجّع على بكاء الموتى ـ يميل إلى أن يبكي الناس على الشهيد.. لأن البكاء على الشهيد اشتراك معه فيما سجّله من ملاحم، وتعاطف مع روحه، وانسياق مع نشاطه وتحركه وتياره.

بعد حادثة عاشوراء، احتلت شهادة الحسين مركز الذروة على مسرح الشهادة. وانتقل لقب (سيد الشهداء) إلى الحسين عليه السلام وبقى حمزة سيداً للشهداء، لكن عبارة (سيد الشهداء) إن أطلقت دون ذكر اسم فلا تنصرف إلاّ إلى الحسين.

كان حمزة سيد شهداء زمانه، وحاز الحسين على لقب سيد شهداء جميع الأعصر والدهور، كمريم العذراء التي كانت سيدة نساء زمانها، ثم أضحت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

كان حمزة ـ قبل استشهاد الحسين ـ رمزاً للبكاء على الشهيد، وكان البكاء عليه مظهراً من مظاهر الانشداد بطريق الشهادة، ثم انتقلت هذه المكانة إلى الحسين بعد موقعة كربلاء.

□